

﴿ الآفة العشرون سؤال العوام عن الغوامض ﴾

من حق العوام الاشتغال بالعمل الصالح إلا أن الفضول خفيف على القلب والماعى قد يفرح بالخوض في العلم إذ الشيطان يخيل إليه أنك من العلماء وأهل الفضل ولا يزال يجب إليه ذلك حتى قد يتكلم بما هو كفر ولا يدري . وكل من سأل عن علم غامض ولم يبلغ فهمه تلك الدرجة فهو مذموم فإنه بالاضافة إليه عاصي . وفي الحديث نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القيل والقال واضاعة المال وكثرة السؤال . وفي قصة موسى والخضر عليهما السلام تنبيه على المنع من السؤال قبل أوان استحقاقه إذ قال ﴿ فَإِنْ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحَدِّثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾ فلما سأل عن السفينة أنكر عليه حتى اعتذر وقال ﴿ لَا تَأْخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تَرَهِّقْنِي مِنْ أَمْرٍ عُسْرًا ﴾ فلما لم يصبر حتى سأل ثلاثا قال ﴿ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ﴾ وفارقه فسؤال العوام عن غوامض الدين من أعظم الآفات فيجب منهم من ذلك وزجرهم \*

## كتاب ذم الغضب

﴿ والحقد والحسد ﴾

ان الغضب شعلة نار اقتبست من نار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة وأنها لمستكنة في طي الفؤاد . استكنان الجمر تحت الرماد ويستخرجها الكبر

الذين في قلب كل جبار عنيد كاستخراج الحجر النار من الحديد وقد انكشف لناظرين بنور اليقين ان الانسان ينزع منه عرق الى الشيطان اللعين فمن استفزته نار الغضب فقد قويت فيه قرابة الشيطان حيث قال خلقتني من نار وخلقته من طين فان شأن الطين السكون والوقار وشأن النار التلظى والاستمرار والحركة والاضطراب ومن نتاج الغضب الحقد والحسد وبهما هلك من هلك وفسد من فسد ومفيضهما مضغفة اذا صلحت صلح الجسد . واذا كان الحقد والحسد والغضب مما يسوق العبد الى مواطن العطب فما أحوجه الى معرفة معاطبه ومساوئه ليحذر ذلك ويتقيه ويميطه عن القلب ان كان وينفيه وهالك بيان ذلك بعونه تعالى \*

### \* بيان ذم الغضب \*

قال الله تعالى ( إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين ) الآية . ذم الكفار بما تظاهروا به من الحمية الصادرة عن الغضب بالباطل ومدح المؤمنين بما أنزل عليهم من السكينة . وروي أن رجلاً قال يارسول الله مرني بعمل واقلل قال: لا تغضب ثم أعاد عليه فقال . لا تغضب . وقال صلى الله عليه وسلم ( ماتعدون الصرعة فيكم ) قلنا الذي لا تصرعه الرجال قال ( ليس ذلك ولكن الذي يملك نفسه عند الغضب ) \*

وعن جعفر : الغضب مفتاح كل شر . وقال بعض الأ نصار : رأس الحق الحدة وقائده الغضب ومن رضى بالجهل استغنى عن الحلم والحلم

زين ومنمنعه والجلهل شين ومضره والسكوت عن جواب الأحمق جوابه  
وقال الحسن : من علامات المسلم قوّة في دين وعزم في لين . وإيمان في يقين  
وعلم في حلم . وكيس في رفق . واعطاء في حق . وقصد في غنى . وتجمل  
في فاقة . واحسان في قدرة . وتحمل في رفاقة . وصبر في شدّة . لا يظلمه  
الغضب . ولا يجمع به الحمية . ولا تغلبه شهوة . ولا تفضحه بطنة . ولا  
يستخفه حرصه . ولا تقصر به نيته . فينصر المظلوم ويرحم الضعيف . ولا  
يبخل . ولا يبذر . ولا يسرف . ولا يقتل . يغفر إذا ظلم . ويعفو عن الجاهل  
نفسه منه في عناء . والناس منه في رخاء \*

### ﴿ درجات الناس مع الغضب ﴾

اعلم أن قوّة الغضب محلها القلب وممناها غليان دم القلب وانتشاره  
في العروق وارتفاعه الى أعلى البدن كما ترتفع النار والماء الذي يغلي في القدر  
فلذلك ينصبّ الى الوجه فيحمرّ الوجه والعين ، والبشرة اصفانها تحكى لون  
ماوراءها من حمرة الدم كما تحكى الزجاجة لون ما فيها \*

ثم ان الناس في هذه القوة على درجات ثلاث من التفریط والافراط  
والاعتدال ( أما التفریط ) فنقد هذه القوّة أو ضعفها وذلك مذموم  
وهو الذي يقال فيه أنه لاجمية له . وقد وصف الله سبحانه أصحاب النبي  
صلى الله عليه وسلم بالشدّة والحمية فقال ( أشدّاء على الكفار ) وقال لنبيه  
صلى الله عليه وسلم ( جاهد الكفار والمنافقين واغظ عليهم ) وانما الغلظة  
والشدّة من آثار قوّة الحميّة وهو الغضب \*

( وأما الإفراط ) فهو أن تغلب هذه الصفة حتى تخرج عن سياسة العقل والدين وطاعته ولا يبقى له من بصيرة وفكرة ولا اختيار بل يصير في صورة المضطر ومن آثار هذا الغضب في الظاهر تغير اللون . وشدّة الرعدة في الأطراف . وخروج الأفعال عن الترتيب والنظام . واضطراب الحركة والكلام حتى يظهر الزبد على الألسنة . وتحمّر الأهداق . وتقلب المناخر . وتستحيل الخلقة . ولو رأى الغضبان في حال غضبه قبح صورته لسكن غضبه حياء من قبح صورته واستحالة خلقته . وقبح باطنه أعظم من قبح ظاهره . فان الظاهر عنوان الباطن . وانما قبح صورة الباطن أولا ثم انتشر قبحها الى الظاهر ثانيا فتغير الظاهر ثمرة تغير الباطن فقس المثر بالثمرة . فهذا أثره في الجسد \*

وأما أثره في اللسان فانطلاقه بالشم . والفحش من الكلام الذي ينتهي منه ذو العقل ويستحي منه قائله عند فتور الغضب . وذلك مع تحبظ النظم . واضطراب اللفظ . \*

وأما أثره على الأعضاء فالضرب والتهجم والتمزيق والقتل والجرح عند التمكن وقد يمزق ثوب نفسه ويلطم نفسه وقد يضرب بيده على الأرض وربما يعتريه مثل الغشبية وربما يضرب الجمادات والحيوانات أو يكسر القصعة أو يشتم البهيمة أو ترفسه دابة فيرفسها ويقال لها بذلك كالمجنون \*  
وأما أثره في القلب فالحقد والحسد واضمار السوء والشماتة بالمساءآت والحزن بالسرور والعزم على افشاء السر وهتك السر والاستهزاء وغير ذلك

من القبايح . فهذه ثمرة الغضب المفرط \*

وأما ثمرة الحمية الضعيفة فقلة الأنفة مما يؤنف منه من التمرض للحرم  
والزوجة واحتمال الذل من الأخصاء وصخر النفس وهو أيضاً مذموم إذ  
من ثمراته عدم الغيرة على الحرم وهو صوتها قال صلى الله عليه وسلم ﴿ إنَّ  
سَعْدًا لَغَيُورٌ وَأَنَا أَغْيَرُ مِنْ سَعْدٍ وَاللَّهُ أَغْيَرُ مِنِّي ﴾ وإنما خلقت الغيرة لحفظ  
الأنسب ولو تسامح الناس بذلك لاختلطت الأنساب . ولذلك قيل : كل  
أمة وضعت الغيرة في رجالها وضعت الصيانة في نساءها \*

ومن ضعف الغضب الخور والسكوت عند مشاهدة المنكرات وقد قل  
تعالى ﴿ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ ﴾ \*  
ففقد الغضب مذموم . وإنما المحمود غضب ينتظر إشارة العقل والدين  
فينبث حيث تجب الحمية وينطفئ حيث يحسن الحلم . وحفظه على حد  
الاعتدال هو الاستقامة التي كاف الله بها عباده . وهو الوسط الذي وصفه  
رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال : خير الأمور أوسطها \*  
﴿ زوال الغضب بالرياضة وغيرها ﴾

اعلم أنه مادام الانسان يحب شيئاً ويكره شيئاً فلا يخاو من الغيظ والغضب  
لأنه من مقتضى الطبع إلا أنه قد تفيد الرياضة في محرقوته وذلك بالمجاهدة  
وتكليف الحلم والاحتمال مدة حتى يصير الحلم والاحتمال خلقاً راسخاً فالرياضة  
ليست لينعدم غيظ القلب لأنه غير ممكن . ولكن ليستعمله على حد يستحبه  
الشرع ويستحسنه العقل وذلك بكسر سورته وتضعيفه حتى لا يشتد بهيجان

الغيظ في الباطن وينتهي ضعفه الى أن لا يظهر أثره في الوجه . وقد يتصور  
 فقد الغيظ بغلبة نظر التوحيد أو بأن يعلم أن الله يحب منه أن لا يفتأ فتطفي  
 شدة حبه لله تعالى غيظه . أو بأن يشتغل القلب بضروري أهم من الغضب  
 فلا يكون في القلب متسع للغضب لاشتغاله بغيره فان استغرق القلب ببعض  
 المهمات يمنع الاحساس بما عداه \*

### ﴿ بيان الأسباب المهيجة للغضب ﴾

قد عرفت أن علاج كل علة بحسم مادتها وازالة أسبابها فلا بد من  
 معرفة أسباب الغضب . وأسبابه المهيجة له هي الزهو . والمعجب . والمزاح .  
 والهزل . والهزة . والتعير . والممارة . والمضادة . والغدر . وشدة الحرص  
 على حصول المال والجاه . وهي بأجمعها أخلاق رديئة مذمومة شرعا ولا  
 خلاص من الغضب مع بقاء هذه الأسباب . فلا بد من إزالتها بأضدادها .  
 فينبغي أن تمت الزهو بالتواضع . وتميت المعجب بمعرفةك بنفسك . وتزيل  
 الفخر بأنك من جنس أقل مخلوق إذ الناس يجمعهم في الاتساب أب واحد  
 وإنما الفخر بالفضائل . والفخر والمعجب أكبر الرذائل . وأما المزاح فتزيله  
 بالتشاغل بالمهمات الدينية التي تستوعب العمر وتفضل عنه . وأما الهزل فتزيله  
 بالجد في طلب الفضائل والأخلاق الحسنة والعلوم الدينية التي تبلغك الى  
 سعادة الآخرة . وأما الهزة فتزيله بالترك على إيذاء الناس و بصيانة النفس  
 عن أن يستهزأ بك . وأما التعير فبالحذر عن القول القبيح وصيانة النفس عن  
 مؤثر الجواب . وأما شدة الحرص فبالصبر على مؤثر العيش وبالقناعة بقدر

الضرورة طلباً لئلا الاستغناء وترفعاً عن ذلّ الحاجة وكل خلق من هذه الأخلاق وصفة من هذه الصفات يفتقر في علاجه إلى رياضة وتحمل مشقة، وحاصل رياضتها الرجوع إلى معرفة غوائلها لترغب النفس عنها وتنفر عن قبورها ثم المواظبة على مواظبة أضدادها مدةً مديدة حتى تصير بالمادة هينة مألوفاً على النفس فإذا انمحت عن النفس فقد ذكت وتطهرت عن هذه الرذائل وتخلصت أيضاً من الغضب الذي يتولد منها وأشد البواعث للغضب عند أكثر الجهّال تسميتهم الغضب شجاعة وعزة نفس حتى تميل النفس إليه وتستحسنه وهذا من الجهل بل هو مرض قلب ونقصان عقل ويعالج هذا الجاهل بأن تتلى عليه حكايات أهل الحلم والعفو وما استحسن منهم من كظم الغيظ فإن ذلك منقول عن الأنبياء والعلماء \*

### \* بيان علاج الغضب بعد هيجانه \*

ما تقدم هو حسم لمواد الغضب حتى لا يهيج فإذا جرى سبب هيجانه فعنده يجب التثبت حتى لا يضطر صاحبه إلى العمل به على الوجه المذموم وإنما يعالج الغضب عند هيجانه بمجون العلم والعمل أما العلم فهو أمور :  
 (الأوّل) أن يتفكر فيما ورد في فضل كظم الغيظ والعفو والحلم والاحتمال فيرغب في ثوابه ويمتنع الرغبة في الأجر عن الانتقام وينتظي عنه غيظه \*

(الثاني) أن يخوف نفسه بعقاب الله لو أمضى غضبه وهل يأمن من غضب الله عليه يوم القيامة وهو أحوج ما يكون إلى العفو \*

( الثالث ) أن يحذر نفسه عاقبة العداوة والانتقام وتشمّر العدو لمقابلته والسعي في هدم أغراضه والشهامة بمصائبه وهو لا يخلو عن المصائب فيخوف نفسه بعواقب الغضب في الدنيا ان كان لا يخاف من الآخرة \*

( الرابع ) أن يتفكر في قبح صورته عند الغضب بأن يتذكر صورة غيره في حالة الغضب ويتفكر في قبح الغضب في نفسه ومشابهة صاحبه للكلاب الضاري والسبع العادي ومشابهة الحليم الهادي التارك للغضب للأنبيا والأولياء والعلماء والحكماء ويخبر نفسه بين أن يتشبه بالكلاب والسباع وأراذل الناس وبين أن يتشبه بالعلماء والأنبيا في عادتهم لتميل نفسه إلى حب الاقتداء بهؤلاء ان كان قد بقي معه مسكة من عقل \*

( الخامس ) أن يتفكر في السبب الذي يدعوه إلى الانتقام ويمنعه من كظم الغيظ مثل قول الشيطان له أن هذا يُحمّل منك على العجز والذلة وتصير حثيراً في أعين الناس . فيقول لنفسه ما أعجبتك تأننين من الاحتمال الآن . ولا تأننين من خزي يوم القيامة . ولا تحذرين من أن تصغري عند الله والملائكة والنبيين . فهما كظم الغيظ فينبغي أن يكظمه الله . وذلك يمضاه عند الله فإله وللناس \*

وأما العمل فأن تقول بلسانك : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم . وان كنت قائماً فاجلس وان كنت جالساً فاضطجع ويستحب أن يتوضأ بالماء البارد فان الغضب من النار والنار لا يطفئها إلا الماء \*

### ﴿ فضيلة كظم الغيظ ﴾

قال الله تعالى ( وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين ) دلت الآية على أن الكاظمين من المتقين وإن مغفرة ربهم تنالهم وجنته أعدت لهم فما أفضل هذا الجزاء وقال صلى الله عليه وسلم ( من كَفَّ غَضَبَهُ كَفَّ اللَّهُ عَنْهُ عَذَابَهُ وَمَنْ اعْتَذَرَ إِلَى رَبِّهِ قَبِلَ اللَّهُ عُذْرَهُ وَمَنْ خَزَنَ لِسَانَهُ سَتَرَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ ) وقال صلى الله عليه وسلم ( أشدُّكم مَنْ غَلَبَتْ نَفْسُهُ عِنْدَ الْغَضَبِ وَأَحَامُكُمْ مَنْ عَفَا عِنْدَ الْقُدْرَةِ ) وروى أن رجلاً من جفاة الأعراب قال لعمر رضي الله عنه والله ما تقضى بالعدل ولا تعطى الجزل فغضب عمر حتى عرف ذلك في وجهه فقال له رجل يا أمير المؤمنين ألم تسمع قول الله تعالى ( خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلین ) وإن هذا من الجاهلین فسكن عمر رضي الله عنه وعفا عنه ۞

### ﴿ فضيلة الحلم ﴾

اعلم أن الحلم أفضل من كظم الغيظ لأن كظم الغيظ عبارة عن التحلم أي تكلف الحلم ولا يحتاج إلى كظم الغيظ إلا من هاج غيظه ويحتاج فيه إلى مجاهدة شديدة ولكن إذا تمرد ذلك مدة صار ذلك اعتياداً فلا يهيج الغيظ وإن هاج فلا يكون في كظمه تعب وهو الحلم الطبيعي وهو دلالة

كمال العقل واستيلائه وانكسار قوة الغضب وخضوعها للعقل ولكن ابتداءه  
 التحلم وكظم الفيض تكلفا وفي الحديث ( إنما العلم بالتعلم والحلم بالتحلم )  
 إشارة إلى أن اكتساب الحلم طريقه التحلم أولا وتكلفه كما أن اكتساب العلم  
 طريقه التعلم وعنه صلى الله عليه وسلم ( إن الرجل المسلم لا يدرك بالحلم درجة  
 الصائم القائم ) وعن الحسن في قوله تعالى ( وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا  
 سلاماً ) قال حماد إن جاهل عليهم لم يجهلوا وعن مجاهد في آية ( وإذا مروا  
 باللغو مروا كراماً ) أي إذا أوذوا صفحوا وعن علي رضي الله عنه ليس  
 الخير أن يكثر مالك وولدك ولكن الخير أن يكثر علمك ويعظم حلمك وأن  
 لا تباهى الناس بعبادة الله وإذا أحسنت حمدت الله تعالى وإذا أسأت استغفرت  
 الله تعالى وقال أكرم دعامة العقل الحلم وجماع الأمر الصبر وقال معاوية  
 لا يبلغ العبد مبلغ الرأي حتى يغلب حلمه جهله وصبره شهوته ولا يبلغ ذلك  
 إلا بقوة العلم وقال معاوية لعمر بن الاثم أي الرجال أشجع قال من رد  
 جهله بحلمه قال أي الرجال أسخى قال من بذل ديناه لصالح دينه وقال  
 معاوية لعروة بن سعدة قومك قال كنت أحلم عن جاهلهم وأعطى سائلهم  
 وأسسى في حوائجهم فمن فعل مثل فعلى فهو مثلى ومن جاوزنى فهو أفضل منى  
 ومن قصر عنى فأنا خير منه وقال أنس بن مالك في قوله تعالى ( إدفع بالتي  
 هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم ) وما يلتقاها  
 إلا الذين صبروا وما يلتقاها إلا ذو حظٍ عظيم ) هو الرجل يشتمه أخوه  
 فيقول إن كنت كاذبا فغفر الله لك وإن كنت صادقا فغفر الله لي وعن

عليّ بن الحسين رضي الله عنهما انه سبّه رجل فرمى اليه بخميصة كانت عليه  
وأمر له بألف درهم فقال بعضهم جمع له خمس خصال محمودة الحلم . وإسقاط  
الأذى وتخليص الرجل مما يبعده من الله عزّ وجل . وحمله على الندم والتوبة  
ورجوعه الى المدح بعد الذم اشترى جميع ذلك بشيء من الدنيا يسير .

﴿ بيان القدر الذي يجوز به الانتصار من الكلام ﴾

اعلم أن كل ظلم صدر من شخص فلا يجوز مقابله بمثله فلا تجوز مقابلة  
الغيبة بالغيبة ولا مقابلة التجسس بالتجسس ولا السبّ بالسبّ وكذلك سائر  
المعاصي وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مقابلة التعمير فقال  
( إن امرؤ عيّرَكَ بما فيكَ فلا تعيّرهُ بما فيه ) وقال قوم تجوز المقابلة بما  
لا كذب فيه - قالوا - والنهي النبوي عن مقابلة التعمير بمثله نهى تنزيه  
والأفضل تركه ولكنه لا يعصى به - قالوا - والذي يرخص فيه أن تقول  
من أنت . ويا أحق . ويا جاهل . اذا من أحد إلا وفيه حق وجهل فقد  
آذاه بما ليس بكذب وكذلك قوله يا سيء الخلق يا ثلابا للأعراض وكان  
ذلك فيه . وكذلك قوله لو كان فيك حياء لما تكلمت وما أحقركَ في عيني  
بما فعلت واستدلوا بالحديث ( المستبّان ما قالَا فعلى الباديّ منهما حتى  
يَعْتَدِي المظلوم ) فأثبت للمظلوم انتصارا الى أن يعتدي .

فهذا القدر هو الذي أباحه هؤلاء وهو رخصة في الإيذاء جزاء على إيذائه  
السابق ( قال الغزالي ) ولا تبعد الرخصة في هذا القدر ولكن الأفضل تركه  
فانه يجره الى ما وراءه ولا يمكنه الاقتصار على قدر الحق فيه . والسكوت

عن أصل الجواب لعله أيسر من الشروع في الجواب والوقوف على حدّ  
الشرع فيه . ولكن من الناس من لا يقدر على ضبط نفسه في فورة الغضب  
ولكن يعود سريعا وفي الحديث ( خَيْرُ بَنِي آدَمَ الْبَطِيءُ الْغَضَبِ السَّرِيعُ  
الْفَيْءُ وَشَرُّهُمْ السَّرِيعُ الْغَضَبِ الْبَطِيءُ الْفَيْءُ )

\* ( معنى الحقد وتناجحه الوخيمة وفضيلة الرفق ) \*

اعلم أن الغضب إذا لم كظمه لمجز عن التشفى في الحال رجع الى  
الباطن واحتمن فيه فصار حقدًا . ومعنى الحقد أن يلزم قلبه استتقاله والبغضة  
له والنفار عنه وأن يدوم ذلك ويبقى . وقد قال صلى الله عليه وسلم ( المؤمنُ  
ليس بحقودٍ ) والحقد ثمرة الغضب والحقد يثمر أموراً منكراً ( الأول ) الحسد  
وهو أن يملك الحقد على أن تتمنى زوال النعمة عنه فتعتم بنعمة ان أصابها  
وتسرّ بمصيبة ان نزلت به وهذا من فعل المنافقين ( الثاني ) أن يزيد على  
اضمار الحسد في الباطن فيشمت بما أصابه من البلاء ( الثالث ) أن تهجره  
وتصارمه وتنقطع عنه وان طلبك وأقبل عليك ( الرابع ) وهو دونه أن تعرض  
عنه استصغاراً له ( الخامس ) أن تتكلم فيه بما لا يحل من كذب وغيبة وافشاء  
سرّ وهتك ستر وعورة ( السادس ) أن تحاكيه استهزاء به وسخرية منه  
( السابع ) اذاؤه بالضرب وما يؤلم بدنه ( الثامن ) أن تمنه حقه من قضاء دين أو  
صلة رحم أو ردّ مظالمه وكل ذلك حرام وأقل درجات الحقد لو احترز  
عن هذه الآفات الثمانية أن يترك البشاشة أو الرفق والعناية والقيام بحاجاته  
أو المعاونة على المنفعة له وكرهه مما ينقص الدرجة في الدين ويفوت الثواب الجزيل

ولما حلف أبو بكر رضي الله عنه أن لا ينفق على مسطح وكان قريبه  
 لأمر ما نزل قوله تعالى ( وَلَا يَأْتَلُ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي  
 الْقُرْبَىٰ إِلَّا تَحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ) فقال أبو بكر نعم نحب ذلك وعاد  
 الى الاتفاق عليه \*

والأولى أن يبقى على ما كان عليه فان أمكنه أن يزيد في الأحسان  
 مجاهدة للنفس وارجاء للشيطان فذلك مقام الصديقين وهو من فضائل  
 أعمال المقربين \*

### ﴿ فضيلة العفو والأحسان ﴾

اعلم أن معنى العفو أن يستحق حقاً فيسقطه ويبرأ عنه من قصاص أو  
 غرامة . قال الله تعالى ( خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ )  
 وقال تعالى ( وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ) وقال صلى الله عليه وسلم ( التواضع  
 لا يزيد العبد إلا رفعةً فتواضعوا يرفعكم الله والعفو لا يزيد العبد إلا  
 عزاً فاعفوا يرفعكم الله والصدقة لا تزيد المال إلا كثرة فتصدقوا يرحمكم  
 الله ) وقال صلى الله عليه وسلم ( أفضل أخلاق أهل الدنيا والآخرة  
 فصل من قطعك وتبطن من حرمك وتعفو عمن ظلمك ) وروى  
 عن الحسن البصري رحمه الله أنه دخل على أمير يعرض له بالعفو فذكر  
 الحسن قصة يوسف عليه السلام وما صنع به اخوته من ييمهم إياه وطرحهم  
 له في الجب فقال ( باعوا أخاهم وأحزنوا أباهم ) وذكر ما لقي من كيد النساء  
 ومن الحبس ثم قال أيها الأمير ماذا صنع الله به أداله منهم ورفع ذكره

وأعلى كرامته وجعله على خزائن الأرض فإذا صنع حين أكل له أمره  
 وجمع له أهله قال ( لا تَهْرِبَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ  
 الرَّاحِمِينَ ) فعنا ذلك الأمير وروي أن ابن مسعود سرقت له دراهم  
 فجعلوا يدعون على من أخذها فقال لهم اللهم ان كان حملته على أخذها  
 حاجة فبارك له فيها وان كان حملته جراءة على الذنب فاجعله آخر ذنوبه .  
 وقال معاوية: عليكم بالحلم والاحتمال فإذا أمكنتم الفرصة فعليكم بالصنح والافضال \*

### ﴿ فضيلة الرفق ﴾

اعلم أن الرفق محمود ويضاده العنف والحدة . والعنف نتيجة الغضب  
 والفظاظة . والرفق واللين نتيجة حسن الخلق والسلامة . ولا يحسن الخلق  
 إلا بضبط قوة الغضب وحفظها على حد الاعتدال . ولأجل هذا أتى  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم على الرفق وبالغ فيه فقال ( مَنْ أُعْطِيَ حِظَّهُ  
 مِنَ الرَّفْقِ فَقَدْ أُعْطِيَ حِظَّهُ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ . وَمَنْ حُرِمَ حِظَّهُ  
 مِنَ الرَّفْقِ فَقَدْ حُرِمَ حِظَّهُ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ) وقال صلى الله  
 عليه وسلم ( إذا أحبَّ الله أهل بيتٍ أدخل عليهم الرفق ) وقال صلى  
 الله عليه وسلم لعائشة ( عليك بالرفق فإنه لا يدخل في شيء إلا زانه ولا  
 ينزع من شيء إلا شانه ) \*

وسر الترغيب في الرفق واثناء عليه هو كون الطباع الى العنف والحدة  
 أميل . وان كان العنف في محله حسنا فان الحاجة قد تدعو اليه ولكن على  
 الدور \* والسكامل من يميز مواقع الرفق عن مواقع العنف فيعطى كل أمر حقه \*

### ﴿ ذم الحسد ﴾

اعلم ان الحسد أيضا من نتائج الحقد الذميمة . وللحسد من الفروع  
الذميمة ما لا يكاد يحصى . وقد ورد في ذمه أخبار كثيرة منها قوله صلى الله  
عليه وسلم ( الْحَسَدُ يَا كُلُّ الْحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ ) وقوله  
( لَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَقَاطَعُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَدَابَرُوا وَتَوَنُوا عِبَادَ اللَّهِ  
إِخْوَانًا كَمَا أَمَرَكَ اللَّهُ ) ومن الآثار \* قول بعض السلف . ان أول خطيئة  
كانت هي الحسد حسد إبليس آدم عليه السلام على رقبته فأبى أن يسجد له  
فحمله الحسد على المعصية ( وعن ) ابن سيرين رحمه الله . ما حسدت  
أحدا على شئ من أمر الدنيا لانه ان كان من أهل الجنة فكيف أحسده  
على أمر الدنيا وهي حقيرة في الجنة وان كان من أهل النار فكيف أحسده  
على أمر الدنيا وهو يصير الى النار وقال بعضهم الحاسد لا ينال من المجالس  
إلا مذمة وذلا ولا ينال من الملائكة إلا لعنة وبغضا ولا ينال من الخلق  
إلا جزعا وغما ولا ينال عند الموقف إلا فضيحة ونكالا \*

### ﴿ حقيقة الحسد وحكمه وأقسامه ﴾

الحسد نوعان ( أحدهما ) كراهة النعمة وحب زوالها عن المنعم عليه  
( وثانيهما ) عدم محبة زوالها وتمنى مثلها وهذا يسمى غبطة فالأول  
حرام بكل حال الا نعمة أصابها فاجر وهو يستعين بها على محرم كإفساد وايداء  
فلا يضر محبة زوالها عنه من حيث هي آلة الفساد ويدل على تحريم الحسد

الأخبار التي نقلناها وان هذه الكراهة تسخط لقضاء الله في تفضيل بعض عباده على بعض وذلك لأعذرفيه ولا رخصة وأى معصية تزيد على كراهتك لراحة مسلم من غير أن يكون لك منه مضرة . والى هذا أشار القرآن بقوله ( إِنْ تَمَسَسْتُمْ حَسَنَةً تَسُوهُمْ وَإِنْ تَصِبْتُمْ سَيِّئَةً يَفْرَحُوا بِهَا ) وهذا الفرح شماتة والحسد والشماتة يتلازمان . وقال تعالى ( وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا ) أى لا تضيق صدورهم به ولا يفتخرون فأثني عليهم بعدم الحسد . وأما المنافسة فليست بحرام بل قد تكون مطاوعة قال تعالى ( وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ) وقال تعالى ( سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ ) وقال صلى الله عليه وسلم ( لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالاً فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلْكَتِهِ فِي الْحَقِّ وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ عِلْمًا فَهُوَ يَعْمَلُ بِهِ وَيُعَلِّمُهُ النَّاسَ ) فلا حرج على من يضبط غيره في نعمة ويشتهى لنفسه مثلها مهما لم يجب زوالها عنه ولم يكره دوامها له . وأما تمنى عين نعمة الغير بانتقالها اليه لرغبته فيها بحيث يكون مطاوعه تلك النعمة لازوالها فهو مذموم لقوله تعالى ( وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ ) وأما تمنيه لمثل ذلك فليس مذموما فاعرف الفرق »

### ﴿ أسباب الحسد ﴾

للحسد المذموم مداخل كثيرة وأسباب عديدة ( فمنها ) العداوة والبغضاء وهذا أشد أسباب الحسد فإن من آذاه شخص بسبب من الأسباب وخالفه في غرض بوجه من الوجوه أبغضه قلبه وغضب عليه ورسخ في نفسه

الحقد . والحقد يقتضى منه التشفى والانتقام . فان عجز المنتقص عن أن يتشفى بنفسه أحب أن يتشفى منه الزمان . وربما يحيل ذلك على كرامة نفسه عند الله تعالى . فلهما أصابت عدوه بلية فرح بها وظلها مكافأة له من جهة الله على بفضه وانها لاجله . ومهما أصابته نعمة ساءه ذلك لانه ضد مراده وربما يخطر له انه لا منزلة له عند الله حيث لم ينتقم له من عدوه الذي آذاه بل أنعم عليه وبالجملة فالحسد يلزم البغض والعداوة ولا يفارقهما . وانما غاية التقي أن لا يبغى وأن يكره ذلك من نفسه ( ومنها ) التعزز وهو أن يتقل عليه أن يترفع عليه غيره ( ومنها ) حب الرياسة وطالب الجاه بأن يكون مفردا عديم النظير غير مشارك في المنزلة يسوءه وجود مناظر له في المنزلة ( ومنها ) خبث النفس وشحها بالخير لعباد الله بحيث يشق عليه أن يوصف عنده حسن حال عبد فيما أنعم عليه ويفرح بذكر فوات مقاصد أحد واضطراب أموره وتنقص عيشه . فهو أبدا يحب الادبار لغيره ويبخل بنعمة الله على عباده كأنهم يأخذون ذلك من ماله . وهذا ليس له سبب ظاهر الا خبث في النفس ورذالة في الطبع ومعالجته شديدة لانه خبث في الجملة لا عن عارض حتى يتصور زواله . وقد يجتمع بعض هذه الأسباب أو أكثرها أو جميعها في شخص واحد فيعظم فيه الحسد بذلك ويقوى قوة لا يقدر معها على الاخفاء والجمالة بل ينهتك حجاب الجمالة وتظهر العداوة بالمسكافة أعاذنا المولى من ذلك بلطفه وكرمه \*

## ﴿ بيان الدواء الذي ينفي مرض الحسد عن القلب ﴾

إعلم أن الحسد من الامراض العظيمة للقلوب ولا تداوى أمراض القلوب الا بالعلم والعمل والعلم النافع لمرض الحسد هو أن تعرف تحقيقا أن الحسد ضرر عليك في الدنيا والدين وانه لا ضرر فيه على المحسود في الدنيا والدين بل ينتفع به فيهما ومهما عرفت هذا عن بصيرة ولم تكن عدو نفسك وصديق عدوك فارقت الحسد لا محالة أما كونه ضررا عليك في الدين فهو انك بالحسد سخطت قضاء الله تعالى وكرهت نعمته التي قسمها بين عباده وعدله الذي أقامه في ملكه بخفي حكمة فاستنكرت ذلك واستبدتته وهذه جناية في حدة التوحيد وقذى في عين الايمان وناهيك بهما جناية على الدين وقد انضاف الى ذلك أنك فارقت أولياءه وأنبياءه في حبهم الخير لعباده تعالى وشاركت ابليس والكفار في محبتهم للمؤمنين البالبا وزوال النعم وهذه خباثت في القلب تأكل حسنات القلب كما تأكل النار الحطب . وأما كونه ضررا في الدنيا فهو أنك تتألم بحسدك في الدنيا أو تتعذب به ولا تزال في كد وغم إذ أعداؤك لا يخليهم الله تعالى عن نعم يفيضها عليهم فلا تزال تتعذب بكل نعمة تراها وتتألم بكل بلية تنصرف عنهم فتبقى مغموما ضيق الصدر قد نزل بك ما يشبهه الأعداء لك وتشبهه لأعدائك فقد كنت تريد المحنة لعدوك فتنجزت في الحال محتك وغمك نقدا ولا تزول النعمة عن المحسود بحسدك ولو لم تكن تؤمن بالبعث والحساب لكان مقتضى

الفطنة ان كنت عاقلاً أن تحذر من الحسد لما فيه من ألم القلب ومساءته مع  
عدم النفع فكيف وأنت عالم بما في الحسد من العذاب الشديد في الآخرة  
فما أعجب ممن يتعرض لسخط الله من غير نفع يناله بل مع ضرر يحتمله  
والم يقاسيه فيهلك دينه ودنياه من غير جدوى ولا فائدة . وأما أنه لا ضرر  
على المحسود في دينه ودنياه فواضح لأن النعمة لا تزول عنه بحسدك . وأما  
أن المحسود ينتفع به في الدين والدنيا فواضح أما منفعته في الدين فهو أنه  
مظلوم من جهتك لاسيما اذا أخرجك الحسد الى القول والفعل بالغبية والقدح  
فيه وهتك ستره وذكر مساوئه فهذه هدايا تهديها اليه إذ تهدي اليه حسناتك  
حتى تلقاه يوم القيامة مفلساً محروماً كما حرمت في الدنيا عن النعمة . فاذا  
تأملت هذا عرفت أنك عدو نفسك وصديق عدوك إذ تماطيت ما تضررت  
به في الدنيا والآخرة وانتفع به عدوك في الدنيا والآخرة وصرت مذموماً  
عند الخالق والمخلوق شقياً في الحال والمآل ونعمة المحسود دائماً شئت أم أبيت  
باقية ومن تفكر في هذا بذهن صاف وقلب حاضر انطأأت نار الحسد من  
قلبه . وأما العمل النافع فيه فهو أن يكلف نفسه تقيض ما يتقاضاه الحسد  
وذلك بالتواضع للمحسود والثناء والمدح وإظهار السرور بالنعمة فتعود  
القلوب الى التآلف والتحاب وبذلك تستريح القلوب من ألم الحسد وغم  
التباغض . فهذه هي أدوية الحسد وهي نافعة جداً الا أنها مرّة على القلوب  
جداً ولكن النفع في الدواء المرّ فمن لم يصبر على مرارة الدواء لم ينل  
حلاوة الشفاء . وانما تهون مرارة هذا الدواء أعني التواضع للأعداء والتقرب

اليهم بالمدح والثناء بقوة العلم بالمعاني التي ذكرناها وقوة الرغبة في ثواب الرضاء بقضاء الله تعالى \*

## كتاب ذم الدنيا

الآيات الواردة في ذم الدنيا وأمثلتها كثيرة . وأكثـر القرآن مشتمل على ذم الدنيا وصرف انطلق عنها ودعوتهم الى الآخرة بل هو مقصود الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ولم يعيشوا إلا لذلك . فلاحاجة الى الاستشهاد بآيات القرآن لظهورها . وإنما نورد بعض الأخبار الواردة فيها . وقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرَّ على شاة ميتة . فقال ( أترونَ هذه الشاةَ هيئةً على أهلها ) قالوا من هوانها أقوها قال ( والذي نفسي بيده للدنيا أهونُ على الله من هذه الشاةِ على أهلها ولو كانت الدنيا تعدلُ عندَ الله جناحَ بعوضةٍ ماسقٍ كافراً منها شربةُ ماءٍ ) وقال صلى الله عليه وسلم ( حبُّ الدنيا رأسُ كلِّ خبيثةٍ ) وقال صلى الله عليه وسلم ( إنَّ الدنيا حلوةٌ خضرةٌ وإنَّ اللهَ مُستخلفكمُ فيها فَنَاظِرَةٌ كَيْفَ تَعْمَلُونَ )

### ﴿ بيان الدنيا المذمومة ﴾

اعلم أن معرفة ذم الدنيا لا تكفيك ما لم تعرف الدنيا المذمومة . ما هي وما الذي ينبغي أن يجتنب منها وما الذي لا يجتنب فلا بد وأن نبين الدنيا المذمومة الأمور باجتناها لكونها عدوة قاطعة لطريق الله ما هي . فنقول :  
دنياك وآخرتك عبارة عن حالتين من أحوال قلبك . فالقريب الداني